ثانيا – نماذج نقدية من عصر صدر الإسلام :

أخذ النقد في القرن الأول الهجري يسير في طريق النضوج والوضوح مع الفطرة الخالصة، والذوق السليم ، وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقادا بفطرتهم وذوقهم ، فبمجيء الإسلام تغيرت قيم الأشياء و الأخلاق فارتقت قيم وانخفضت أخرى ، و أصبحت مقومات الحياة عند العرب غير الأمس ، فالشعر عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، كلام من جنس العرب يتميز بالتأليف أي النظم ، كما يماثل بالجزالة و قوة الألفاظ ، أما ميزان الشعر عنده في مدى مطابقته للحق ، فأحسن الشعر و أطيبه ما يدعو إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ، أما الشعر الذي يولد الضغائن فلا خير فيه ، وما من شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استمد ميزانه من تعاليم الإسلام ،فالحق و الصدق لا الكذب هو مقياس الشعر ، ومعنى هذا أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرمي من خلال ذلك إلى التخلي عن القيم الجاهلية ، وتعويضها بالروح الإسلامية ، ويبدو أن حسان بن ثابت كان أول من تأثر برأي الرسول صلى الله عليه وسلم.

وَإِنَّ أَشعَرَ بَيتٍ أَنتَ قائِلُهُ بَيتٌ يُقالَ إِذا أَنشَدتَهُ صَدَقا

تواصلت مسيرة النقد في صدر الإسلام وفي زمن البعثة المحمدية ، وكان ذلك بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة والخلفاء الراشدين ، الذين استحسنوا منه ما كان حسنا واستهجنوا ماكان مستهجنا ، ووجهوا وهذبوا وصححوا وعدلوا وبدلوا ، فكانت لهم إسهامات نابعة من مراعاة موضوعات الشعر ومدى رقيه في معالجة القضايا ، فما كان منه يصب في خدمة الدين ونشره وبيان فضائله ، وماكان كان منه معالجا لموضوعات اجتماعية وإنسانية متصلة بتعاليم الدين ، كل ما كان كذلك أقروه وشجعوه وخثوا عليه و أثنوا على أصحابه ، وما كان يعوزه التهذيب هذبوه ، وما كان بعيدا عن تعاليم الإسلام وعن القيم العالية ردوه.

إن النقد الأدبي الذي شهده العصر الجاهلي ، ظل مستمرا في عهد البعثة الإسلامية ، وان العرب لم يكفوا عن النظر في الشعر ، و المفاضلة بين الشعراء ، ومع ذلك فهناك شيء جديد في النقد في هذه الفترة ، وهو ما ميزه عن النقد الجاهلي ، والذي يتمثل في عدول

النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر عن طريق الجاهلية بكل قيمه ، و الاتجاه به اتجاها إسلاميا يكون مقياس الحكم فيه على العمل الأدبي بمقدار مطابقته أو عدم مطابقته للحق.

وقد سار الخلفاء الراشدون على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى منواله ، كما تعد فترتهم امتدادا طبيعيا لفترة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنا هنا حث الخلفاء المسلمين على حفظ القرآن الكريم ، ورواية الشعر ما طابق الحق ، فحالة الشعر في عصر الراشدين لم تكن أحسن مما وجدت في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ذلك أنهم لم يشجعوا كثيرا على النظم ، حتى يبعث الشعر ويتطور ، أما المحاولات النقدية في هذه الفترة فقد ظهرت في مواقف الخلفاء الراشدين أنفسهم من الشعر والشعراء وآرائهم في ذلك ، ويلاحظ أن النقد في هذه الفترة ظل في مجمله فطريا لا يعدو مآخذ وملحوظات ، وإن استثنينا عمر بن الخطاب رصي الله عنه، فإننا لا نجد عند بقية الخلفاء آراء يصح أن نلمح فيها طابعا نقديا معينا ، فجل الأخبار التي احتفظت لنا بها كتبنا الأدبية القديمة ، إنما تعكس الاتجاه الإسلامي بوقوفها عند الجوانب الأخلاقية ، واحتفالها باستخلاص العبر، ودعم السلوكات الفاضلة ، فها هو أبو بكر رضي الله عنه يقدم النابغة ويقول : " **هو أحسنهم شعرا ، و أعذبهم بحرا ، وأبعدهم قعرا**" ، فالخليفة الأول لم يكن ذا صلة قوية بالشعر ، حتى عرفت قريش ذلك ، فلما بلغهم هجاء حسان بن ثابت ولم يكونوا قد علموا أنه قوله جعلوا يقولون : "لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا " ، و أما عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد روى صاحب الأغاني أنه أنشد بيت زهير :

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تعلم

قال : **أحسن زهير وصدق ، لو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيته ، لتحدث به الناس** ، ثم قال : وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : "**لا تعمل عملا تكره أن يتحدث عنك به** ".

أما الخليفة على بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلم ينقل الرواة عنه إلا هذه القصة حينما انتقل إلى مدائن كسرى ، فتمثل أحد الواقفين معه بقول الأسود بن يعفر :

جَرت الرياحُ على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعادِ

فقال له علي رضي الله عنه : **لم لا تقل كما قال الله عز وجل : (كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ). ثم قال : " إن هؤلاء كفروا النعمة "** .

كذلك كان يقدم امرئ القيس على بقية الشعراء ، لأنه أحسنهم نادرة ، و أسبقهم بادرة.

عند تتبعنا للنقد في عصر الخلفاء الراشدين ، وجدنا أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أكثرهم تأثيرا فيه ، إذ يمكن القول بأنه ناقد مهم في ذلك العصر ، ومما روى ابن رشيق : " كان عمر رضي الله عنه عالما بالشعر قليل التعرض لأهله " ، "وكان على دراية وخبرة عميقة باللغة ، ومعرفة دقيقة بأسرارها ، وكان من أنقد أهل زمانه للشعر و أنفذهم فيه معرفة " ، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال الذي يقول :

وَلَوْ أَنَّ حَمْدَاً يُخْلِدُ النَّاسَ أُخْلِدُوا وَلَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ ليس بمخلد

قلت : ذاك زهير ، فقال : فذاك شاعر الشعراء ، قلت : وبم كان شاعر الشعراء : قال : لأنه لا يعاضل في الكلام ، ولا يتبع وحشي الشعراء ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه .

نلاحظ أن عمر في حكمه النقدي هذا قد انتهج التعليل والتبرير، وسطر معايير لهذا الحكم:

- خلو الشعر من التعقيد والغموض .
- الابتعاد عن الوحشي والغريب .
- معيار الصدق وعدم الكذب

فقد كان يفضل الشعر الذي يحوي القيم الأخلاقية والقيمة الأدبية، و الذي يجمع بين الحذق في الصناعة الشعرية، والصدق في القول والوصف، ولذا فإنه لم يكن يحب شعر

الهجاء والمفاخرات والمناقضات والغزل الحسي، مما ينم عن فطنته وثقافته وطبعه وحبه الشديد للشعر وتذوقه.

والواقع أن عمر ظل في إسلامه كما في جاهليته ، حفيا بالشعر شديد الشغف به ، بل ظل كذلك بعد اضطلاعه بأعباء الخلافة ، واشتغاله بمهامه التي لا تدع له من وقته فراغا لغيره ، فكان يتمثل بالشعر ويرويه ، ويستنشده من أصحابه وحفاظه ، ويستقبل الوفود ويخوص معهم في الحديث عن شعرهم و شعرائهم.

خصائص النقد في عصر صدر الإسلام :

– كان النقد امتدادا لعصر ما قبل الإسلام من حيث الجانب الانطباعي التأثري .

– الاعتماد على الفطرة السليمة والسليقة والذوق الذاتي في إصدار الاحكام النقدية.

– تشجيع مذهب الصدق ونشر الفضائي ، ونبذ الخصومات ، ومحاربة الرذائل .

– ظل المنطلق النقدي الغالب هو الاعتبارات الذوقية الذاتية.

– التعبير عن الاستحسان أو الاستهجان مع قلة التعليل النقدي.

– التأثر بالبيئة الدينية الجديدة بمجيء الإسلام .

– الارتكاز في الغالب على معيار القيم والمبادئ الإسلامية .

– ساير النقد بعص التغير والتنوع في الموضوعات و المضامين التي تتلاءم مع البيئة و المجتمع وتعاليم الدين .

– التركيز على شعر المدح وشعر الهجاء أكثر من سائر الأغراض الاخرى .

– اندرج النقد ضمن مبادئ الإسلام وتعاليمه و آدابه التي جاء بها ، فأخذ طابع الدعوة .

– الجنوح نحو الوضوح وجودة الصياغة لما لها من أثر في ايصال المعنى .

- عقد المقارنات والموازنات بين الشعراء والقصائد .